أهمية تسوية الصفوف و أثرها في الأمة

قال الله تعالى(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)
جاء في (تفسير ابن كثير)-رحمه الله تعالى-قال قتادة:ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟! فكذلك الله –عز وجل-لا يحب أن يختلف أمره،و إن الله صف المؤمنين في قتالهم،وصفهم في صلاتهم،فعليكم بأمر الله،فإنه عصمة لمن أخذ به) فعليك يأخي الحبيب باتباع أمر ربك و المسارعة بتطبيقه.
و إليك هذه الأحاديث التي تدل على وجوب تسوية الصفوف:
١-أفعال كثيرة في النصوص ، وردت بصيغة الأمر ، و منها:
(أحسنوا إقامة الصفوف)١(سوّوا صفوفكم)٢(أقيموا صفوفكم)٣(رُصّوا صفوفكم ، و قاربوا بينها)٤
(حاذوا بالأعناق)٥(تراصّوا)٦(حاذوا بين المناكب)٨(سدّوا الخلل)٩
٢-أفعال اقترنت ب(لام الأمر):
(لتسوُنّ صفوفكم، أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم)١٠
٣-ورود (لا الناهية) في بعض الأحاديث، و النهي يفيد التحريم إلا لقرينة تصرفه-والقرائن جاءت مؤكدة لا صارفة. و إليك بعض الأمثلة على (لا الناهية):
(لا تذروا فُرجات للشيطان)١١ (لا تختلفوا، فتختلف قلوبكم)١٢ (لا تختلفْ صدوركم، فتختلفَ قلوبكم)١٣
(لا تختلفْ صفوفكم، فتختلفَ قلوبكم)١٤
و قد جاءت الكلمات في هذه الأحاديث بصيغة الأمر، و الأمر يفيد الوجوب إلا لقرينة تصرفه! ومنها أيضا ما تراها في الأحاديث،وهي النهي عن الإختلاف وهو قوله(لاتختلفوا)والنهي يفيد التحريم إلا لقرينة تصرفه كذلك.
٤- ما يقع من عدم تسوية الصفوف من مخالفة القلوب و الوجوه.
٥- قوله عليه الصلاة و السلام-(إياي و الفروج) ، يعني: في الصلاة.
٦-إنكار أنس-رضي الله عنه-عدم إقامة الصفوف، كما روى عنه بشير بن يسار الأنصاري: (أنه قدم (أي أنس) المدينة، فقيل له: ما أنكرتَ منا منذ يوم عهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ قال : ما أنكرتُ شيئا إلا أنكم لا تقيمون الصفوف)
٧-التهديد بالقطيعة من الله تعالى لمن يقطع الصفوف، كما في الحديث : (من وصل صفا وصله الله، و من قطع صفا، قطعه الله). و التهديد بالقطع و القطيعة لا يكون لتارك مستحبّ.
٨-ضرْب عمر و بلال-رضي الله عنهما-أقدام من لم يُسوّوا الصفوف.
- و قال ابن حزم (ما كان عمر و بلال يضربان أحداً، على ترك غير الوجب) (كما أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٢/٤٧/٢٤٣٦،٢٤٣٥)، و ابن أبي شيبة (٣٥٣٤)، و انظر (الفتح)(٢/٢١٠)
*و إليك أقوال العلماء بوجوب تسوية الصفوف:
١-الإمام البخاري-رحمه الله- و قوله في أحد الأبواب من (صحيحه) :"إتم من لم يتمّ الصفوف"
٢-الإمام بن خزيمة-رحمه الله- كما هو ظاهر من العناوين التي صدّرها في (صحيحه)، و هي:
(باب الأمر بتسوية الصفوف قبل تكبير الإمام)،(باب الأمر بإتمام الصفوف الأولى)
(باب الأمر بالمحاذاة بين المناكب و الأعناق)،(باب الأمر بسدّ الفُرج)
(باب التغليظ في ترك تسوية الصفوف تخوُّفاً لمخالفة الرب-عز و جل-بين القلوب)
٣-الإمام ابن حزم-رحمه الله تعالى-قال في (المحلى)(٤/٧٥):(تسوية الصف إذا كان من إقامة الصلاة،فهو فرض،لأن إقامة الصلاة فرض،وما كان من الفرض فهو فرض)
٤-الحافظ المنذري-رحمه الله تعالى-كما هو ظاهر من قوله في(الترغيب و الترهيب):(الترهيب من تأخر الرجال إلى أواخر صفوفهم،وتقدم النساء إلى أوائل صفوفهم،ومن إعوجاج الصفوف)
٥-شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-فقد قال في (مجموع الفتاوى)(٢٣/٣٩٤):(ولولم يكن الاصطفاف واجبا،لجاز أن يقف واحد خلف واحد،وهلم جرا.....)
٦-الحافظ ابن حجر-رحمه الله تعالى-فقد قال:(ومع القول بأن التسوية واجبة،فصلاة من خالف-ولم يسو-صحيحة)
٧-الإمام الصنعاني،قال-رحمه الله تعالى-في(سبل السلام)-بعد ذكر عدة أحاديث في الباب:(وهذه الأحاديث والوعيد الذي فيها ،دالة على وجوب ذلك،وهو مما تساهل فيه الناس.....)
٨-الإمام الشوكاني-رحمه الله تعالى-في(نيل الأوطار) في باب (الحث على تسوية الصفوف ورصها وسد الخلل)قائلا(قوله:سووا صفوفكم) فيه أن تسوية الصفوف واجبة
٩-الشيخ الألباني-رحمه الله تعالى-في كتابه(سلسلة الأحاديث الصحيحة)
قال تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم) فيا إخوتي في الله إن كنتم تحبون الله فاتبعوا أوامره و أوامر نبييكم محمد صلى الله عليه و سلم.
المرجع: "تسوية الصفوف و أثرها في حياة الأمة" فضيلة الشيخ حسين بن عودة العوايشة-حفظه الله.

١-أخرجه أحمد في "مسنده" و صححه الألباني،٢-أخرجع مسلم ٤٣٣ ، ٣-أخرجه أبو داود (صحيح سنن أبي داود) ٦١٦ ،٤+٥ -أخرجه أبو داود (صحيح سنن أبي داود)٦٢١ و النسائي و صححه الألباني، ٦-أخرجه البخاري:٧١٩ ،٧-أخرجه مسلم ٤٣٢، ٩ +١١+٨-أخرجه أحمد في "مسنده" و أبو داود (صحيح سنن أبي داود) ٦٢٠ و النسائي (صحيح سنن النسائي)٧٨٩ و صححه الألباني، ١٠- البخاري٧١٧،ومسلم٤٣٦، ١٢أخرجه مسلم٤٣٢، ١٣+١٤ أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"

كيف نسوّي صفوفنا؟

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديدا. يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما) يا إخوتي الكرام بعد أن عرفنا الأحاديث التي تدل على وجوب تسوية الصفوف، فكيف نصلح أعمالنا؟و كيف يزول الخلاف بين قلوبنا؟ و كيف نسوّي صفوفنا كما كان عليه أسلافنا؟

الإجابة: يبين لنا أنس-رضي الله عنه-كيف كانت تسوية الصفوف في عهد النبي صلى الله عليه و سلم : (و كان أحدنا يُلزق منكبه بمنكب صاحبه، و قدمه بقدمه)١

و في رواية : (فلقد رأيت أحدنا يلصق منكبه بمنكب صاحبه، و قدمه بقدمه، فلو ذهبت تفعل هذا اليوم ، لنفر أحدكم كأنه بغل شموس)٢

و في قول للنعمان بن بشير-رضي الله عنه-(فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه، و ركبته بركبة صاحبه، و كعبه بكعبه)٣

و لا بد أن نحاذي بين المناكب و الأعناق، لقوله صلى الله عليه و سلم:(و حاذوا بالأعناق)٤ و قوله-عليه الصلاة و السلام-(و حاذوا بين المناكب)٥ و يُفهم مما سبق، أن تسوية الصفوف و تراصّها تعني:

١-إلصاق منكب المرء بمنكب صاحبه، و قدمه بقدمه، و ركبته بركبته، و كعبة بكعبه.

٢-مراعاة المحاذاة بين المناكب و الأعناق و الصدور، بحيث لا يتقدّم عنق على عنق، و لا منكب على منكب، و لا صدر على صدر.

- و أما من وسّع ما بين قدميه،فقد منع التصاق منكب صاحبه بمنكبه، و ركبته بركبته، و كعبه بكعبه، فيحسُن بك أن تلتفت لموقع الإمام، فترصّ من تلك الجهة قدمك بقدم صاحبك، و كعبه بكعبه، و ركبته بركبته، و منكبك بمنكبه، ثمّ تنتظر من صاحبك من الجهة الأخرى، أن يفعل ما فعلت مع صاحبك بالجنب، و تدعوه للإقتراب إذا ابتعد.

***التوكيل في تسوية الصفوف:**

عن عمر-رضي الله عنه-(أنه قد كان يُوكّل رجلا بإقامة الصفوف، و لا يكبّر، حتى يخبر أن قد استوت الصفوف) ٦

***نداء للأئمة و الخطباء و الوعّاظ و الدعاة:** كما أوجّه ندائي إلى إخواني الأفاضل-الذين لهم الصدارة في إمامة الناس-:أن يُشرفوا أنفسهم على تسوية الصفوف، مستنين بسنّة النبيّ صلى الله عليه و سلم، مهتدين بهديه، فقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه و سلم إشرافه على تسوية الصفوف و رصّها، و القيام بذلك بنفسه، كما حديث أبي مسعود-رضي الله عنه-قال(كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يمسح مناكبنا في الصلاة، و يقول:استووا، و لا تختلفوا، فتختلف قلوبكم)٧

- و عن البراء بن عازب-رضي الله عنه-قال:(كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأتي ناحية الصفّ، و يسوّي بين صدور القوم و مناكبهم، و يقول: لا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، إن الله و ملائكته يصلّون على الصفّ الأول)٨

***ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول بلسانه: (استووا)، ثم يكبر و يترك الخلل و الفرجات-كما يفعل إخواننا الأئمة الآن!!لقد كان-عليه الصلاة و السلام - يأتي الصف من ناحية إلى ناحية، ويمسح المناكب و الصدور و العواتق.**

- و صحّ عن عمر-رضي الله عنه-:أنه ضرب قدم أبي عثمان النهدي لإقامة الصف٩

- و كان إذا مرّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللا، تقدّم فكبر ١٠

- و ثبت عن سويد بن غفلة أنه قال(كان بلال يسوي مناكبنا، و يضرب أقدامنا في الصلاة)١١

- و قال ابن حزم:(ما كان عمر و بلال يضربان أحدا، على ترك غير الواجب)١٢

أنصح لكم ولنفسي أن نتقى الله في هذا أمر و لا نكون كمثل العارفين للحق العاملين بغيره. و أسال الله لي و لكم الهداية لكل خير و السلامة من كل شر.

-المرجع "تسوية الصفوف و أثرها في حياة الأمة" فضيلة الشيخ حسين بن عودة العواشية-الله يحفظه

---

١ أخرجه البخاري : ٧٢٥-٢السلسلة الصحيحة الألباني ٣١- ٣أخرجه أبو داود (صحيح سنن أبي داود)٦١٦ و غيره، و علقه البخاري في (كتاب الأذان) (باب-٧٦)-٤ أخرجه أبو داود (صحيح سنن أبي داود) ٦٢١ و النسائي و صححه الألباني-٥ أخرجه أحمد في "مسنده" و أبو داود (صحيح سنن أبي داود ٦٢٠ و النسائي (صحيح سنن النسائي) ٧٨٩ و صححه الألباني-٦ "المصنف (٢/٤٧) (٢٤٣٩،٢٤٣٧)-٧ أخرجه مسلم ٤٣٢-٨ أخرجه أبو داود (صحيح سنن أبي داود)٦١٨ و النسائي (صحيح سنن النسائي)٧٨١

٩انظر "المصنف"لعبد الرزاق (٢/٤٧/٢٤٣٦) و "الفتح"(٢/٢١٠)-١٠جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٧٠٠)-١١+١٢أخرجه عبد الرزاق (٢/٤٧/٢٤٣٥) و ابن أبي شيبة (٣٥٣٤)، وانظر "الفتح"(٢/٢١٠)